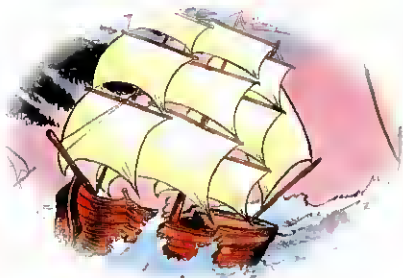


ذات الصواري

رسم
إبراهيم سمرة

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود



بقول عنها المؤرخون إنها من أعظم المعارك البحرية على
مر العصور ، ويضيف آخرون أنها أقوى معركة شهدها البحر
الأبيض المتوسط منذ واقعة أكتوبر الشهيرة عام ٣١ ق م .
هي ذات الصواري ، المعركة البحرية الكبرى التي خضرت
عام ٦٥٥ م بين المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي سرح وفوات
الإمبراطورية البيزنطية بقيادة قسطنطين بن هرقل .
وقد سُجنت أحداث تلك المعركة قبل حدوثها بوقت طويل ،



وذلك عندما تقدم معاوية بن أبي سفيان والي
الشام إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان ،
يطلب منه إعداد حملة بحرية
كبيرة لفتح جزيرتي
قبرص ورودمس .



وفكر عُثْمَانُ طويلاً في هذا الطلب ، ففى عام ٦٤٨م وقت
أن تقدم معاوية بطلبه ، لم يكن للمسلمين خبرة كافية بقنوت
القتال فى البحر ، ومن ثم خاف عُثْمَانُ من تلك المغامرة ،
وقال لمعاوية : إننى أوافق بشرط عدم إجبار أحد على ركوب
البحر ، ويقتصر الأمر فقط على المتطوعين الراغبين من جنود
المسلمين .

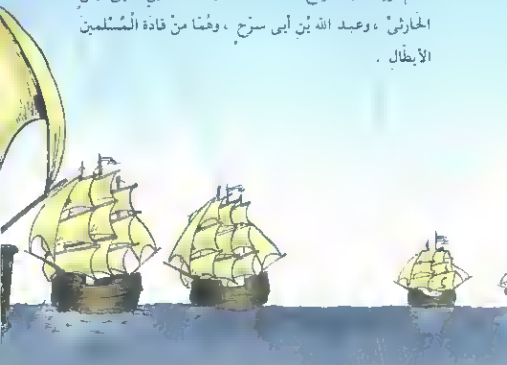


وعلى الفور بدأ معاوية بن أبي سفيان بجهز حملته ، فقام
بجمع فريق ضخم من الصناع المهرة ، لبصنعوا السفن المطلوبة .
ثم أعلن عقب ذلك نفيز الحرب وطلب مستطوعين لأداء تلك
المهمة الصعبة .



وكانت المفاجأة الكبرى التي لم يكن يتوقعها أحد ، هي تلك الأعداد الهائلة من المتطوعين التي جاءت تطلب الاشتراك في الحملة ، جموع غفيرة توالى من كل مكان لتكتمل الأعداد المطلوبة للحملة في وقت وجيز ، وعلى الفور بدأ التدريب والإعداد .

ثم فرز معاونة خروج الحملة تحت قيادة القائدين : أبي قيس الحارثي ، وعبد الله بن أبي سرح ، وهما من قادة المسلمين الأبطال .



وَأَبْحَرَتْ مَرَاكِبُ الْمُسْلِمِينَ نَحْمَلُ الْعُدَّةَ وَالْعِتَادَ صَوِّبَ
قَيْرَاصٍ ، وَعِنْدَ مَشَارِفِهَا بَرَزَتْ مَرَاكِبُ الْبِيْرْتَابِيِّينَ لِنَتَصَدَّى
لِهَذَا الْهَجُومِ الْبَحْرِيِّ الْكَبِيْرِ الَّذِي يُنْظِمُهُ الْمُسْلِمُونَ .



فقد كان البيزنطيون هم سادة البحر وملوكه آنذاك ، ومن
الخطورة بمكان ظهور أي قوة بحرية أخرى على مسرح الأحداث .
من هنا حشد البيزنطيون أكبر حشد بحري للرد على حملة
الفتح الإسلامي وصدتها .

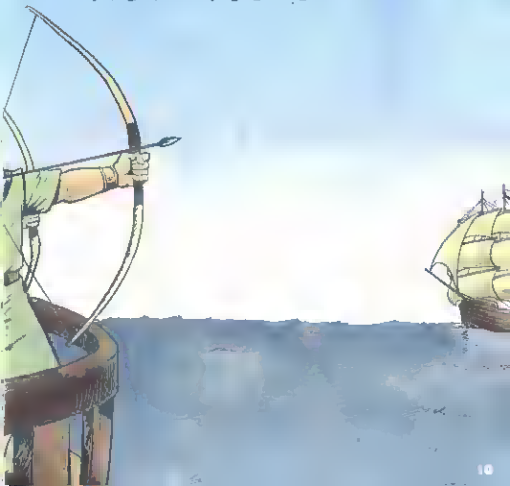
وندور الحزب سجلا بين الطرفين فيشهد القائد أبو فيس
الحارثي ، وتكمل المعركة غنبد الله بن أبي سرح ، إلى أن
يتنصر جند المسلمين في النهاية ونتم فتح جزيرة قبرص .





ومنها تنقلُ جيوشُ المسلمين بكافة معدّاتها صوب جزيرة
رُودس لفتحها هي الأخرى .

إلا أنه بعد هذا الفتح ثارت ثورة البيزنطيين ، فأعلن
قسطنطين بن هرقل القائد البيزنطي الشهير - أنه سوف تجهز
حسلة بحرية كبرى بنفسه بها على كل نفوذ للمسلمين في البحر .



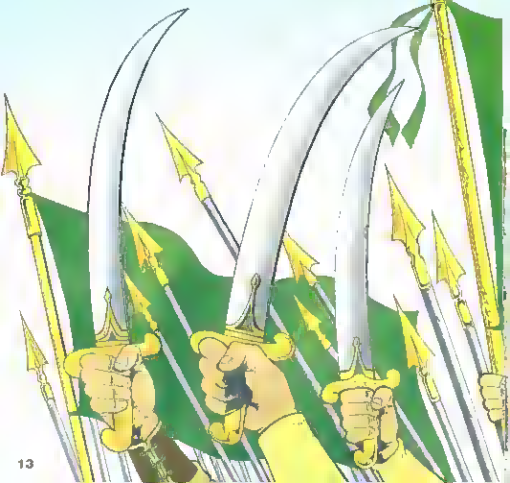


وبالفعل أعدَّ القائدُ البيزنطيُّ حملاً من ستمائة سفينة ، وفاد
الحملة بنفسه في عرضِ البحرِ الأوسطِ . وعلى الطرفِ
المُقابلِ تقدّم القائدُ المسلمُ عبدُ الله بنُ أبي سرحٍ بمائتي
سفينة ، ليلتقي الطرفانِ عندَ منطفةٍ قريبةٍ من شواطئِ
الإسكندريةِ .

ثمّ اثناة سفينةً نقتلُ وجهاً لوجهٍ في أكبرِ معركةٍ بحريةٍ
بشهادتها التاريخُ الإسلاميُّ .



بدأت الجولة الأولى بتبادل السهام ، كلٌ بتحسين الفرصة من
 بعد لاصطياد خصمه ، واستمر الحال هكذا ، إلى أن انتهى كلُّ
 فريق مخزونه من السهام ، وهنا بدأ المسلمون جاولتهم
 الثانية ، فأنجھوا ناحية سفن عدوهم وألصقوا سُننهم بها ،
 لتتحول السفن جميعا إلى ساحة متصلة ، لا تختلف كثيرا عن
 ساحة آية معركة برية أخرى .



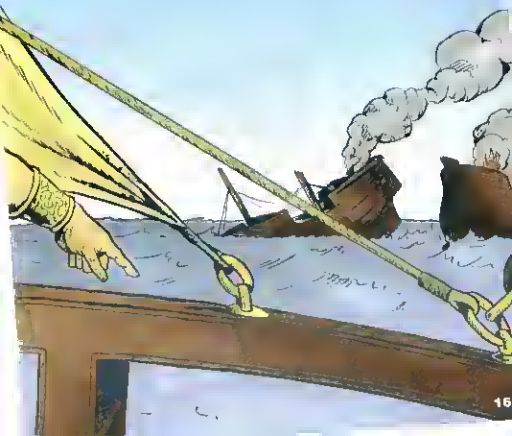
وتلتحم الصواري جميعها مكونةً تشكيلاً ضخماً جعل
الجميع يتندّزون به ويطلقون اسمه على المعركة لتسمّى بـ « ذات
الصواري» أي المعركة التي اشترك فيها عددٌ كبيرٌ من صواري
المراكب المتشجرة .

ويضع المسلمون في اعتبارهم أن هذه المعركة هي أصعب
أخبار لهم وعلى أساسه يمكن أن نضع الدلالة الإسلامية
لنفسه من نهر جيحون شرقاً فارس إلى المحيط الأطلسي
على الساحل الغربي لبلاد المغرب . ومن المحيط الهندي
جنوباً إلى بلاد الفوقاز وبحر فزوين والبحر
الأسود شمالاً .





ويُدور الفئال بالسُوف والخناجر والحراپ إلى ان يتحول لون
البحر إلى اللون الأحمر من كثرة الدماء التي تختلط ببياهه .
ويُدرك الفائذ البيزنطي فسطاطين أن قوائمه - مع كثرة
عددها - قد انهزمت وخسرت الكثير من سفنها ومعدّاتها
فبقفز إلى مركب صغير



يَهْرَبُ بِهِ إِلَى صَقَلِيَّةَ ، إِلَّا أَنَّهُ يُقْتَلُ هُنَاكَ عَلَى أَيْدِي أَهْلِهَا
الَّذِينَ عَاقَبُوهُ عَلَى هَزِيمَتِهِ وَهَرَبِهِ .



وَيَقْتُلُ فَسَطَنْطِينَ تَنَهَارَ الْفَوَاتِ الْبَيْرَنْطِيَّةَ الْبَاقِيَةَ وَيَسْتَسَلِمُ
مُعْظَمَهَا .

فِيكْمَلُ الْمُسْلِمُونَ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى النَّصْرَ ، لِتُصْبِحَ لَهُمُ سَيَادَةُ
الْبَحْرِ بَعْدَ ذَلِكَ : يَنْجَهُونَ فِيهِ نَحْوَ أَيْ مَكَانِ دُونَ عَائِقِ أَوْ
حَدِّ بِحَدِّهِمْ .





رقم المجلد : ٢١٣٦

الرقم البريدي : ٧ - ٦٦٤ - ٤٢٦ - ٩٧٧

